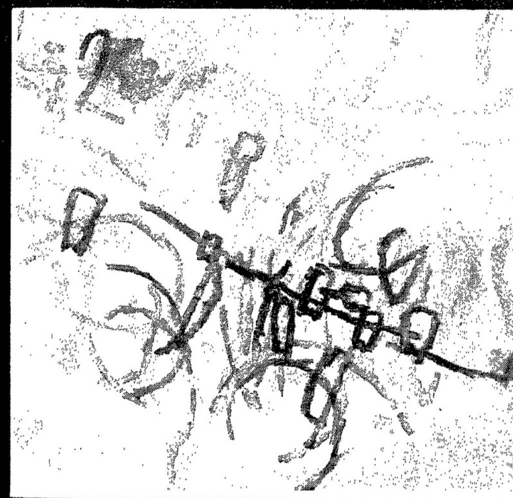
راث الإنسانية

مبادئ الأخلاق

لجورج مور

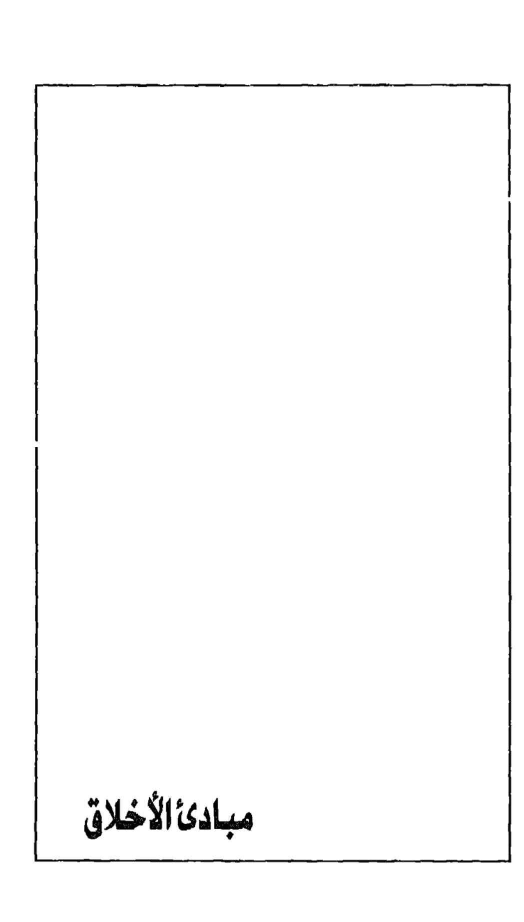




الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

د. عزمى إسلام

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤


مبادئ الأخلاق

مبادئ الأخلاق

لجورج مور

د. عزمى إسلام



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :
جمعية الرعاية المتكاملة
وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة الحكم المحلى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعي والفني
محمود الهندى
مراد نسيم
احمد صليحة

المشرف العام
د . سمير سرحان

مبادىء الأخلاق لجورج مور

بقلم : د . عزمى إسلام

اذا كان مؤرخو الفلسفة المعاصرة يرون أن أهم فلاسفة التحليل المعاصرين فى النصف الأول من القرن العشرين هم: جورج مور، G.Moore وبرتراند رسل B. Russell ولدفيج فتجنشتين L. Wittgenstein ، فمما لا شك فيه اننا لو أردنا أن نؤرخ لبداية حركة التحليل فى الفلسفة المعاصرة، لالتقينا بجورج مور فهو الرائد الأول الحقيقى لهذا الاتجاه الجديد فى الفلسفة، حتى ليذهب «ماكسويل تشالزورث» فى كتابه: «الفلسفة والتحليل اللغوى» (صفحة ١٢) الى تحديد بدء فلسفة، التحليل المعاصرة بظهور مقال مور المعروف باسم «رفض المثالية» عام ١٩٠٣ .فمور بهذا المعنى كان بمثابة أول من فتح طريق التحليل ـ بمعناه المعاصر ـ فى الفلسفة،

أو أول من تركت خطاه أثرا على ذلك الدرب تبعه فيه رسل وفتجنشتين، ثم سار على هديهم الفلاسفة التحليليون العلاجيون مثل جون ويزدم، وفلاسفة اللغة العادية فى اكسفورد مثل جلبرت رايل G.Ryle وستروسون Strawson وأوستين Austin وغيرهم.

والواقع ان أهمية مور ليست مقصورة على الناحية التاريخية من حيث هو أول رائد لفلسفة التحليل المعاصرة، بل هى كذلك تعود الى انه كان أول من استخدم منهج التحليل بالنسبة لمشكلات الأخلاق بصفة خاصة.

والتحليل يرتبط فى معناه عند مور بالتوضيح، فهو منهج يتبع بغرض الكشف عن حقيقة كثيرمن المشكلات الفلسفية، التى لو حللناها - أى أوضحنا عناصر - لتبين لنا زيفها ولذا فقد اتخذ مور من السؤال التالى مبدأ لا يحيد عنه وهو:«ما الذى نقصده من قولنا كذا وكذا؟» وتؤكد ستبنج Stebbing (فى مقال لها بعنوان «تأثير مور» - منشور فى كتاب «فلسفة جورج مور» الذى قام بنشره شلب Schilpp) تمسكه بهذا المبدأ بقولها ان منهج مور يتلخص دائما فى ازالة الغموض والاتجاه الى التوضيح باستمرار، وتروى كيف انبرى لها فى أول

مقابلة لها معه حين كانت تقرأ بحثا فى الجمعية الارسطية عام ١٩١٧، بقوله «ماذا تعنين بهذا الكلام؟».ولعله كان متأثرا فى هذا باستاذه ماك تاجارت Mc Taggart الذى يروى عنه مور «اصراره الدائم على الوضوح، ذلك الاصرار الذى كان يتمثل فى محاولته التوصل الى معنى دقيق محدد للتعبيرات الفلسفية، وفى وضع السؤال التالى: ما معنى هذا؟ دائما».

كما ان التحليل عند مور يرتبط كذلك بالتعريف وهو فى هذا الصدد يقول (فى «الرد على النقاد» فى كتاب فلسفة جورج مور لشلب، صفحة ٦٦٥) «لأن تعرف فكرة ما، هو نفس الشىء حين تحللها، ولذا فهو قد جعل من ألفاظ اللغة وعباراتها - لامن حيث هى كذلك بل، من حيث هى رموز وقوالب نعبر بها عن المعانى والأفكار والأحكام - موضوعا لتحليلاته، بهدف تعريف وتحديد المعانى والأفكار والأحكام التى تصب فى هذه الاطارات اللغوية، وبالتالى توضيحها حتى نتبين ما هو زائف منها، وما هو حقيقى.

ولقد أدى تطبيق مور لذلك المنهج على مشكلات الأخلاق الى ظهور ما يسمى بفلسفة التحليل الخلقية، أو بالأخلاق التحليلية لأول مرة فى تاريخ فلسفة الاخلاق.

حياة مور : (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨)

ولد جورج ادوارد مور George Edward Moore في مقاطعات لندن نورووود العليا Upper Norwood عام ١٨٧٣، وتلقى هو واخوته، وكان ترتيبه الخامس بين أربعة اخوة وأربع أخوات، أول تعليم لهم بالمنزل فى سن الثامنة (أى حوالى عام ١٨٨١)، ثم التحق بمدرسة دلويش Dulwich College التى ظل بها حوالى عشر سنوات، أمضى منها مالا يقل عن ست فى دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية بعد أن أظهر استعدادا كبيرا لتعلمهما فى بدء حياته الدراسية.

وفى اكتوبر من عام ١٩٨٢ التحق بجامعة كمبردج، وانصرف فى العامين الأولين من اقامته بها الى الدراسات الكلاسيكية القديمة، بغرض أن يصبح مدرسا للغات القديمة بعد تخرجه فى الجامعة. ولم يكن قد درس الفلسفة حتى ذلك الوقت، فلم تكن معلوماته الفلسفية حتى ذلك الحين تزيد عما هو موجود فى عدد من محاورات أفلاطون(يذكر منها محاورة بروتا جوراس)، قرأها باللغة اليونانية كنص لغوى لا كمحاورة فلسفية. ولم يبدأ اهتمام مور بدراسة الفلسفية الا بناء على تشجيع صديقه برتراندرسل الذى كان يسبقه

بعامين دراسيين فى كمبردج. ويروى مور حادثة هامة جعلته يبدأ فى الاهتمام بدارسة الفلسفة فيقول فى (السيرة الذاتية) فى كتاب «فلسفة جورج مور» لشلب، صفحة ١٣ ـ ١٤: «دعاني رسل الى تناول الشاى عنده مع ماك تاجارت الذى انصرف الى الدفاع عن نظريته القائلة بأن الزمان غير حقيقي. ولقد حاولت أن أناقش ماك تاجارت فى هذا القول، وأعتقد اننى لم أكن أناقشه مناقشة جيدة، لكن كانت لدى أشياء كثيرة يمكن قولها فى هذا الصدد وكانت هذه احدى الحادثات التى جعلت رسل يعتقد بأن لدى استعدادا لدراسة الفلسفة وبالتالى الى تشجيعى على دراستها». الأمر الذى جعله ينصرف الى دراستها بعد ذلك فى كمبردج، وتخرج فيها عام ١٨٩٦.

والواقع ان تأثير رسل فى مور كان بالغا، سواء من حيث قراءته لمؤلفاته ـ التى يقول مور أنه أمضى فى دراستها وقتا أطول من أى وقت أمضاه فى دراسة أى فيلسوف آخر، أو من حيث مناقشاته معه، تلك المناقشات التى كانت تتم فى لقاءات متعددة سواء أثناء دراستهما أو عملهما بالجامعة وخاصة فيما بين عامى ١٩١١، ١٩١٥.

وقد انصـرف مور بعـد تخرجه فـى الجـامعـة عام ١٨٩٦، ولمدة عـامـين فى التـحضـيـر لدرجـة الزمـالة، وقد اسـتـمـع فى هـاتين السنتـين الى مـحـاضـرات هنرى سرجويك H.Sidgwick ، وجيمس وارد J.Ward، وستاوت G.F.Stout ومـاك تاجارت وقرأ فيـهـا كثيـرا من المؤلفات يذكر منها مور على سبيل التـخصـيص كتب كانط الثلاثة النقدية (نقد العقل الخـالص، ونقد العقل العملى، ونقد الحكم) فـضــلا عن كـتـابى المقـدمـات«Prolegomena» تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق. وتقدم الى كمبردج ببحث عن الأخـلاق عند كـانط حصل به على درجـة الزمـالة من كلية ترينيتى عـام ١٨٩٨. وقد نشـر مور هذا البحث فى مجلة «مـايند» Mind عـام ١٨٩٩ باسم «طبيعة الحكم» . وفى عام ١٨٩٨ أصبح عضـوا فى الجمعية الأرسطية ، كمـا أنه اشـترك فى السنـة نفسـهـا ـ ولمدة ست سنوات تالية حتى عام ١٩٠٤ ـ مع مـاكينزى فى الاشـراف على المجلة الدولية للاخـلاق . وقـد سـاهم مـور فـى بداية هذه الفتـرة ـ بكتـابـة عدة موضـوعـات فى «قـامـوس بولدوين الفلسفى» ، كمـا قـام بالقـاء مجموعتين من المحاضـرات فى لندن خـلال هذه الفـتـرة عينهـا عن الاخـلاق بعـامـة، والأخـلاق عند كـانط بخاصـة ، وكانت هذه المحاضـرات

هى البداية التى طورها فيما بعد وجعل منها مخططا عاما لكتابه (مبادىء الأخلاق) Principia Ethica الـذى نشره عام ١٩٠٣ . وفى عام ١٩٠٤ إنتهت مدة الزمالة فى كمبردج فتفرغ مور بعدها لدراسة الفلسفة مستعينا فى ذلك بما قـد ورثه عن أبويه من ثروة تسـمح له بالانصراف إلى البحث بدون أن ينشغل بالعمل من أجل التكسب وأنتقل إلى ادنبره عاكفا على الدراسة والقراءة حتى عام ١٩٠٨ حيث عاد إلى لندن وأقام فى رتشموند مع أختين من أخواته مواصلا بحثه ودراساته كما قام فى تلك الأثناء كذلك بالقاء برنامجين من المحاضرات فى الميتافيزيقا والأخلاق فى كلية مورلى Morley وبوضع مخطط عام لكتابه «الأخلاق» الذى نشر فيما بعد عام ١٩١٢ .

ولقد بدأ مور يمارس العمل محاضرا فى كمبردج منذ عام ١٩١١ ولمدة ثمان وعشرين سنة، حصل خلالها على درجة الدكتوراه من كمبردج عام ١٩١٣ ، وتزوج خلالها عام ١٩١٦ من إحدى طالباته وهى D.M. Ely وأنجب منها طفله الأول «نيقولاس» عام ١٩١٨، وهو نفس العام الذى انتخب فيه زميلا فى الأكاديمية الإنجليزية ، والذى منح فيه درجة الدكتوراه الشرفية من جامعة سانت اندروز .

وفى عام ١٩٢١ تولى مور الأشراف على إصدار مجلة «مايند» بعد اعتزال ستاوت، ثم خلف جيمس وارد فى منصب الأستاذية فى كمبردج عام ١٩٢٥ حتى بلغ الخامسة والستين من عمره عام ١٩٣٩ . وقد تعرف مور أثناء دراسته أو عمله بالجامعة بالكثير من الأساتذة والزملاء والتلاميذ مثل سدجويك وستاوت وبرتراندرسل ولدفيج فتجنشتين وفرانك رامزى C.D. Broad وغيرهم ممن تأثر بآرائهم الفلسفية ومناقشاتهم وأبحاثهم أو أثر فيهم وخاصة من حيث طريقته فى التحليل أو فى تناوله للمشكلات الفلسفية .

ثم ارتحل مور عام ١٩٤٠ إلى الولايات المتحدة الأمريكية وظل بها مدة عامين عاد بعد أن حاضر خلالهما فى بعض جامعات أمريكا ـ مثل جامعتى برينسيتون وكولومبيا ـ إلى إنجلترا حيث ظل يحاضر ويكتب المقالات والأبحاث، حتى توفى عام ١٩٥٨ .

أهم مؤلفاته :

لم ينصرف مور إلى تأليف الكتب الفلسفية، بقدر ما كان مهتما بكتابة الأبحاث والمقالات ،التى نشر منها الكثير ، ويرجع ذلك إلى قيامه بالاشراف على المجلة

الدولية للأخلاق ، التى كان كتب فيها المقالات تعليقا على الكتب الجديدة فى الأخلاق ، وإلى اشرافه على إصدار مجلة «مايند» خلفا لستاوت ، وإلى مساهمته فى تحرير منشورات الجمعية الأرسطية . ولقد جمع مور بعض هذه المقالات ونشرها فى كتب مستقلة.

ولذا يمكن تقسيم أعمال مور الفلسفية إلى قسمين أساسيين : المقالات والأبحاث، والكتب. وفيما يلى أهم هذه الأعمال مرتبة ترتيبا زمنيا :

أولا ـ المقالات والأبحاث :

وتصنف بدورها إلى ثلاثة أنواع هى :

(أ) مقالات وأبحاث فلسفية .

(ب) تعليقات على كتب أو أبحاث كتبها آخرون .

(ج) تسجيل لمناقشات أو لقاءات على شكل حوار اشترك فيها مور .

وفيما يلى نماذج من هذه المقالات على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) المقالات والأبحاث الفلسفية :

١ ـ «الحرية » .

ـ مايند ـ أبريل ١٨٩٨ .

٢ ـ «طبيعة الحكم» .

ـ مايند ـ أبريل ١٨٩٩ .

٣ ـ «الضرورة» .

ـ مايند ـ يوليو ١٩٠٠ .

٤ ـ «الذاتية» .

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٠١ .

٥ ـ التجربة والمذهب التجريبى» .

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٠٢ .

٦ ـ «الأخلاق عند ماك تاجارت» .

ـ المجلة الدولية للأخلاق ١٩٠٣.

٧ ـ «رفض المثالية» .

ـ مايند ـ أبريل ١٩٠٣ .

٨ ـ «المثالية عند كانط»

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٠٤ .

٩ ـ «البراجماتية عند وليم جيمس» .

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٠٧ .

١٠ ـ «بعض الأحكام المتعلقة بالإدراك» .

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩١٨ .

١١ ـ «العلاقات الخارجية والعلاقات الداخلية»

ـ منشورات الجمعية الأرسطية ١٩١٩ .

١٢ ـ «برهان على وجود العالم الخارجى»

ـ منشورات الأكاديمية الإنجليزية ١٩٣٩.

(ب) عرض وتعليق على مؤلفات وابحاث لآخرين :

١ ـ تعليق على : «اقامة علم الأخلاق على أساس نظرية المعرفة» لفشته Fichte فى المجلة الدولية للأخلاق ، اكتوبر ١٨٩٨.

٢ ـ تعليق على : «أسس الهندسة» لبرتراند رسل ـ مايند ، يوليه ١٨٩٩.

٣ ـ تعليق على : «المذهب الطبيعى واللاأدرية» لجيمس وارد ـ مجلة كمبورج ، نوفمبر ١٨٩٩ .

٤ ـ تعليق على : كتاب «المنطق» لجونسون ـ الملحق

الأدبى لمجلة التيمس فى ١٩٢١/٨/١١.

٥ ـ عرض وتعليق : لكتاب «تحليل العقل» لبرتراند رسل ـ الملق الأدبى لمجلة التيمس ١٩٢١/٩/٢٩.

(ج) تسجيل لمناقشات فلسفية مع آخرين :

١ ـ حوار حول : «المعطيات الحسية» ـ اشترك فيه مور وستاوت . منشورات الجمعية الأرسطية عام ١٩١٣ .

٢ ـ حوار حول : «المعرفة بالاتصال المباشر» ـ اشترك فيه مع هيكس Hicks وبرود وغيرهما . منشورات الجمعية الأرسطية ١٩١٩ .

٣ ـ حوار حول : الوقائع والقضايا ـ اشترك فيه مع رامزى F. Ramsey منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٢٧ .

٤ ـ حوار حول : « الموضوعات التخيلية» ـ اشترك فيه مع جلبرت رايل Ryle ، منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٣٣.

٥ ـ حوار حول : «هل الوجود صفة ؟» ـ اشترك فيه مع وليم نيل Kneale ، منشورات الجمعية الأرسطية ١٩٣٦ .

ثانيا : المؤلفات الفلسفية وأهمها :

١ ـ «مبادىء الأخلاق» Principia Ethica

وقد نشر عام ١٩٠٣ وأعيد طبعة عام ١٩٢٢ ثم توالت طبعاته بعد ذلك، كما نشرت له ترجمة باللغة البولندية فى أرسو عام ١٩١٩ . ويتكون الكتاب (فى طبعة عام ١٩٥٩) من ٢٣٢ صفحة من الحجم المتوسط فضلا عن المقدمة، وفهرس مفصل بالموضوعات . وسأتناول بالتفصيل أهم أفكار مور الفلسفية فى هذا الكتاب فيما بعد .

٢ ـ «الأخلاق » Ethics

وقد نشر عام ١٩١٢ ، وأعيد نشره عام ١٩٢٥، ثم توالت طبعاته بعد ذلك. كما ترجم إلى اللغة الأسبانية فى برشلونه عام ١٩٢٩. ويتكون الكتاب (فى طبعتة السابعة عام ١٩٣٦) من ٢٥٤ صفحة من القطع الصغير تناول فيه مور بالتحليل بعض المفاهيم الأخلاقية لدى عدد من فلاسفة الأخلاق، وفى ضوء بعض المذاهب الخلقية. فهو يبدأ «بالمذهب النفعى» فى الأخلاق (فى الفصلين الأول والثانى) منتقلا إلى «موضوعية الأحكام الأخلاقية» (فى

الفصلين الثالث والرابع) ثم إلى نتائج البحث فى الصواب والخطأ (فى الفصل الخامس) ومنه إلى «الإرادة الحرة» (فى الفصل السادس) ، منتهيا إلى معنى «لقيمة الباطنية» (الفصل السابع والأخير من الكتاب) .

٣ ـ «دراسات فلسفية» Philosophical Studies

وقد نشر عام ١٩٢٢ ثم أعيد طبعة عام ١٩٤٨ وتوالت طبعاته بعد ذلك. ويتكون الكتاب (فى طبعته الثانية) من ٣٤٢ صفحة من القطع العادى، فضلا عن مقدمة من ثمان صفحات ، ويتناول فيه مور عدة موضوعات سبق أن عرض لأغلبها فى مقالات وبحوث سابقة هى :

١ ـ رفض المثالية .

٢ ـ طبيعة وحقيقة موضوع الإدراك .

٣ ـ البراجماتية عند وليم جيمس .

٤ ـ فلسفة هيوم .

٥ ـ المعطيات الحسية .

٦ ـ مفهوم الواقع

٧ ـ بعض الأحكام المتعلقة بالإدراك .

٨ ـ مفهوم القيمة الباطنية .

٩ ـ العلاقات الخارجية والداخلية .

١٠ ـ طبيعة الفلسفة الخلقية .

٤ ـ «بعض المشكلات الأساسية فى الفلسفة»

Some Main Problems of Philosophy

وقد نشر في لندن عام ١٩٥٣، وأعيد طبعه عام ١٩٥٨ ، وهو كتاب يقع (فى طبعته الثانية) فى ٣٨٧ صفحة من الحجم المعتاد، فضلا عن المقدمة والتمهيد ويتضمن عدة محاضرات ألقاها مور فى كلية مورلى Morley بلندن فيما بين عامى ١٩١٠ ، ١٩١١، اقترح جون ويزدم على مور أن ينشرها معا وهى تتناول الموضوعات التالية :

١ ـ ما هى الفلسفة ؟

٢ ـ المعطيات الحسية .

٣ ـ القضايا .

٤ ـ طرق المعرفة .

٥ ـ نظرية هيوم .

٦ ـ مناقشة نظرية هيوم .

٧ ـ الأشياء المادية .

٨ ـ الوجود فى المكان .

٩ ـ فكرة اللاتناهى .

١٠ ـ الوجود فى الزمان .

١١ ـ هل الزمن حقيقي ؟

١٢ ـ معنى ما هو (حقيقى» .

١٣ ـ التخيل والذاكرة .

١٤ ـ المعتقدات والقضايا .

١٥ ـ المعتقدات الصادقة والزائفة .

١٦ ـ الكون والواقع والوجود .

١٧ ـ الحقائق والكليات .

١٨ ـ العلاقات والصفات والتشابه .

١٩ ـ الفصل وبعض الصفات الأخرى .

٢٠ ـ التجريدات والكون .

٥ ـ «أبحاث فلسفية» Philosophical Papers

وقد نشر عام ١٩٥٩ فى لندن ويتكون من مجموعة

من المقالات والأبحاث الفلسفية ، فضلا عن بعض المحاضرات التى كان يلقيها فتجنشتين فى كمبردج فيما بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٣ . وكان مور قد نشر هذه المحاضرات من قبل مع تعليق عليها فى مجلة «مايند» فى عدد يناير ١٩٥٤ ويولية ١٩٥٤ ، ويناير ١٩٥٥ ، ثم أعاد نشرها فى هذا الكتاب .

«مبادىء الأخلاق» Principia Ethica

يعتبر كتاب « مبادىء الأخلاق» أول تطبيق عملى للمنهج التحليلى على مشكلات الأخلاق فى الفلسفة المعاصرة . ولقد عبر مور عن ذلك المعنى خير تعبير فى مقدمة كتابه المذكور (صفحة VII) بقوله: (انه ليبدو لى - فى علم الأخلاق ، كما فى بقية الدراسات الفلسفية الأخرى - أن الصعوبات والاختلافات التى يمتلىء بها تاريخها، انما ترجع أساسا إلى سبب بسيط جدا هو : اننا نحاول الاجابة عن أسئلة لم نتبين على وجه الدقة معناها ، أو بدون أن نتبين أى سؤال هو الذى نريد الاجابة عنه. وأنا لا أعرف المدى الذى قد يصل إليه الفلاسفة باستبعادهم مصدر هذا الخطأ، اذا ما حاولوا أن يكشفوا عن السؤال الذى يسألونه، قبل أن يشرعوا فى الاجابة عنه. اذ أن القيام بالتحليل والتمييز عمل

بالغ الصعوبة : ونحن غالبا ما تفشل فى القيام بذلك ، على الرغم من أننا نبدأ فى محاولة بشكل محدد . الا أننى أميل إلى الظن بأن المحاولة الجادة القائمة على العزم والتصميم قد تكفى لبلوغ النجاح، وبأن كثيرا من أصعب المشكلات وأشدها اثارة للخلاف والفرقة فى الفلسفة، سوف تزول لو أننا قمنا فعلا بمثل هذه المحاولات الجادة .

ويبدو أن الفلاسفة بصفة عامة، لا يقومون ـ فى أغلب الأحوال ـ بمثل هذه المحاولة الجادة، بل هم يحاولون دائما أن يبرهنوا على أن الاجابة «بنعم» أو «بلا» هى الاجابات الصحيحة عن الأسئلة التى لا تكون أى منهما (نعم أو لا) هى الاجابة الصحيحة عنها، وذلك لأنهم لا يضعون أمام أذهانهم سؤالا واحدا بعينه، بل أسئلة عدة، تكون الاجابة عن بعضها بالنفى «لا» وعن بعضها بالايجاب «نعم»).

وهكذا يرى مور أننا لو عرفنا ما الذى نسأل عنه بالتحديد ، وميزنا بينه وبين غيره من الأسئلة، لاستطعنا أن نوضح اجابتنا عنه، اذا كان مما يمكن الاجابة عنه أصلا. ولأننا لا نحدد مانسأل عنه فى الفلسفة وفى الأخلاق أحيانا ، فإننا ـ فى نظره ـ غالبا ما نجيب

اجابات متعددة ، الأمر الذى ينشأ عنه صعوبات كثرة ومشكلات متعددة . ولذا فقد أخذ مور على عاتقه أن يقوم بتحليل أهم المشكلات المتعلقة بفلسفة الأخلاق فى هذا الكتاب لكى يبين أن أكثرها لم ينشأ الا عن الغموض أو عدم الوضوح الكافى فى وضع الأسئلة التى نحاول الاجابة عنها .

وتطبيقا لذلك فقد وضع مور أمامنا سؤالا أساسيا للبحث فى الأخلاق ، وهو : «ما الخير؟». وكانت محاولته الوصول إلى أجابة واضحة عن هذا السؤال ، هى تأليف هذا الكتاب ـ أى كتاب «مبادىء الأخلاق» ـ بأكمله .

وقد عرض مور فى كتابه هذا لأهم الأفكار التى تناولها بالمناقشة والتحليل فى فقرات بلغ عددها ١٣٥ فقرة متتالية على طول الكتاب، الذى ينقسم إلى ستة أبواب كبرى هى :

١ ـ الباب الأول «موضوع علم الأخلاق» ـ من الفقرة رقم ١ ـ إلى الفقرة رقم ٢٣ .

٢ ـ الباب الثانى «الأخلاق الطبيعية ـ من الفقرة رقم ٢٤ ـ إلى الفقرة رقم ٣٥ .

٣ ـ الباب الثالث «مذهب اللذة» ـ من الفقرة رقم ٣٦ ـ إلى الفقرة رقم ٦٥ .

٤ ـ الباب الرابع «الأخلاق الميتافيزيقية» ـ من الفقرة رقم ٦٦ ـ إلى الفقرة رقم ٨٥.

٥ ـ الباب الخامس «الأخلاق وعلاقتها بالسلوك» ـ من الفقرة رقم ٨٦ ـ إلى الفقرة رقم ١٠٩ .

٦ ـ الباب السادس «المثل الأعلى» ـ من الفقرة رقم ١١٠ ـ إلى الفقرة رقم ١٣٥ .

وقد خصص مور الفقرة أو الفقرات الأخيرة من كل باب لتلخيص أهم الأفكار التى عرضها فيه أو تناولها بالمناقشة .

وفيما يلى تفصيل ما أوجزناه :

أولا : الخير صفة غير معرفة

يبدأ مور كتابه بمحاولة تحديد أو تعريف موضوع علم الأخلاق ، فيقول أنه لكى يتم وضع تعريف صحيح للأخلاق ، علينا أن نكشف أولا عما هو مشترك بين جميع الأحكام الأخلاقية التى لاشك فى صحتها . وهذا لا يعنى أن الأخلاق ـ عنده ـ تجعل من السلوك

الإنساني موضوع بحثها الأساسى ، بل يعنى أنها تهتم أساس بصفة معينة هى «الخير» ، وعكسها وهى «الشر» ، وهما فى نظره صفتان يمكن أن يوصف بهما السلوك ، كما توصف بهما أشياء أخرى .

أى أن موضوع الأحكام الخلقية عنده ، ليست هى «الأشياء المفردة» ، لأن الأحكام الخلقية لديه هى تلك التى تتضمن الأحكام الكلية التى تثبت وجود علاقة بين صفة «الخيرية» Goodness وبين موضوع جزئى ما، أو التى تنسب صفة الخيرية إلى موضوع بعينه .

ولذا فنحن اذا وضعنا المبحث الأخلاقى فى صيغة سؤال ، لكان هو السؤال الآتى : «ماهى صفة الخيرية؟»، أو «ما هو الخير؟» ، ولكانت الأجابة عن هذا السؤال هى : أن تلك الصفة مما لا يمكن تعريفها in-definable . وبذلك لأن صفة الخير صفة بسيطة عند مرور ، ولأن ما هو بسيط لا يمكن تحليله ، يكون هو كذلك مما لا يمكن تعريفه .

ومن ثم يرى مور أن ما لا يمكن تعريفه ، ليس «ما هو خير» سواء كان شيئا أو كلا مركبا من أجزاء ، ويتصف دائما بصفة الخيرية، بل هو صفة الخيرية

نفسها . الا أن بعض الفلاسفة كانوا ـ على حد تعبيره ـ غالبا ما يوحدون بين صفة الخير ، من حيث هى أحد موضوعات الفكر ـ وبين غيرها من الموضوعات الأخرى ،الأمر الذى أدى إلى الوقوع فى مغالطة يسميها مور «بالمغالطة الطبيعية» naturalistic fallacy وهى تلك المغالطة التى تحيل ما نستخدمه فى علم الأخلاق ـ على أنه مبدأ أساسى ـ أما إلى عبارة تحصيل حاصل «كأن أقول أجابة عن السؤال: ما هو الخير ؟ بأن الخير هو الخير» (مبادىء الأخلاق : فقرة رقم ٦ صفحة ٦) ، أو إلى عبارة تتكلم عن معنى لفظ من الألفاظ .

ويعبر مور عن هذه المغالطة ـ التى يرى أن الكشف عن طبيعتها أمر سهل ميسور ـ كما تتمثل فى فلسفة بنتام Bentham الأخلاقية بقوله : (يبدو أن بنتام ـ كما يذكر سرجويك ـ يستخدم كلمة «صواب» لكى يعنى بها «ما يحقق السعادة العامة» . وهذا القول فى ذاته لا يتضمن بالضرورة المغالطة الطبيعية ، لأن كلمة «صواب» عادة ما تنسب إلى الأفعال التى تؤدى إلى تحقيق ما هو خير. وهى أفعال ينظر إليها من حيث هى وسائل تهدف إلى تحقيق المثل الأعلى ، وليست غايات فى حد ذاتها. وهكذا تشير كلمة «صواب» إلى ما هو خير من حيث هو

وسيلة لتحقيق غاية ما.) (مبادىء الأخلاق ، فقرة ١٤، صفحة ١٨) .

لكن المغالطة تتضح فى فلسفة بنتام حين يرى أن المبدأ الأساسى القائل ـ بأن تحقيق أكبر قدر من السعادة لكل من نهتم بأمرهم ـ هو دائما الغاية الصحيحة right والحقيقة proper للأفعال الإنسانية . وعلى ذلك فهو يستخدم كلمة «صحيح» (أو ما هو صواب right) للدلالة على الغاية ـ وهى السعادة ـ من حيث هى كذلك ، وليس فقط للدلالة على الوسيلة ـ أى الأفعال ـ التى تفضى إلى تلك الغاية . وفى هذا الصدد يقول مور : (فإذا كان ذلك كذلك، لأصبح من المتعذر تعريف «الصواب» بأنه «ما يؤدى إلى تحقيق السعادة العامة» بدون أن يكون ذلك متضمنا للمغالطة المذكورة . اذ من الواضح الآن ، أن تعريف الصواب ـ من حيث هو ما يؤدى إلى تحقيق السعادة العامة ـ يمكن أن يستخدمه بنتام فى تأييد المبدأ الأساسى القائل بأن السعادة العامة هى الغاية الصحيحة « أو الصائبة right» ، بدلا من أن يكون تعريف الصواب نفسه مستمدا من ذلك المبدأ.

فإذا كان الصواب ـ من حيث التعريف ـ يعنى تحقيق السعادة العامة ،لكان من الواضح أن تكون السعادة العامة هى الغاية الصحيحة . وليس من الضرورى الآن ، أن نبرهن أولا على أن السعادة العامة هى الغاية الصحيحة، قبل أن نعرف الصواب بأنه ما يحقق السعادة العامة، وهذه طريقة سليمة تماما) الا أن العكس ـ وهو أن تعريف الصواب بأنه « ما يؤدى إلى السعادة العامة، هو تعريف يبرهن على أن السعادة العامة هى الغاية الصحيحة» ـ انما يمثل طريقة غير سليمة فى البرهنة . اذ لا تكون فى هذه الحالة العبارة التالية «السعادة العامة هى الغابة الصحيحة للفعل الإنسانى» مبدأ أخلاقيا على الأطلاق ، بل تكون أما مجرد عبارة تتكلم عن معنى عدة ألفاظ ، أو أن تكون مجرد قضية تتحدث عن طبيعة السعادة العامة، وليس عن صوابها rightness أو خيريتها) . (مبادىء الأخلاق ، فقرة رقم ١٤ ، صفحة ١٩) .

وبعد أن يوضح مور هذه المغالطة على النحو سالف الذكر ، يعد إلى مناقشة معنى الخيرية فيقول :

طالما أن الأخلاق تهتم أساس بصفة الخير من حيث تحققها فى هذا الشىء أو ذلك السلوك، فمن الممكن بحث هذه الشىء أو ذلك السلوك، فمن الممكن

بحث هذه العلاقة القائمة بين تلك الصفة وبين الأشياء الموصوفة بها، أي العلاقة التي تربط بين صفة الخير وبين الأشياء أو الأنماط السلوكية الخيرة . ويصنف مور هذه العلاقات إلى نوعين هما : علاقة يمكن أن نسميها بالعلاقة المباشرة ، تفيد كون الشيء خيرا في ذاته، وعلاقة يمكن أن نسميها بالعلاقة غير المباشرة ، وتفيد ارتباط شيء ما برابطة سببية مع شيء آخر يكون خيرا في ذاته . ويكون الشيء في هذه الحالة الأخيرة عند مور خيرا «من حيث هو وسيلة» good as a means . (فقرة رقم ٢٣ ، صفحة ٣٦) .

ويهتم مور أساسا بما هو خير في ذاته ، من حيث هو يتضمن قيمة باطنة فيه. ويوضح ذلك بقوله اننا يجب أن نفرق بين ما هو خير في ذاته، وبين ما هو خير من حيث هو وسيلة لتحقيق نتائج معينة، وذلك : (على أساس ان الفرق بين الحكم الذى يثبت أن شيئا خير في ذاته، وبين الحكم الذى يثبت ان شيئا خير من حيث هو وسيلة لتحقيق نتائج معينة، هو أن الحكم هو وسيلة لتحقيق نتائج معينة، هو أن الحكم الأول ـ حينما يصدق بالنسبة لمثل واحد أو بالنسبة لحالة واحدة من حالات الشيء موضوع الحكم ـ يكون صادقا بالضرورة

بالنسبة لجميع الحالات ، في حين أن الشيء الذى تكون له نتائج خيرة فى ظروف معينة ، قد تترتب عليه نتائج سيئة في ظروف أخرى . وعلى ذلك فمما لاشك فيه الآن صدق القول بأن جميع الأحكام المتعلقة بالقيمة الباطنية، هى أحكام كلية universal بهذا المعنى). (الفقرة رقم ١٨، صفحة ٢٧).

وبما أن الأحكام التى نقولها إنما تتعلق بأشياء هى موضوعات تلك الأحكام، فاننا نجد أن مور يتناول هذه الموضوعات بالتحليل قائلا (ان هناك عددا كبيرا من الأشياء المختلفة التى يكون لبعضها قيمة باطنية ، وهناك أشياء أخرى كثيرة شريرة ، كما أن هناك أشياء أخرى كثيرة تبدو كما لو كانت متعادلة القيمة (أو غير ذات قيمة .)(indifferent) . الا أن الشيء الذى يدخل فى أى فئة من هذه الفئات الثلاث ، قد يوجد من حيث هو جزء من كل ، يتضمن فى بقية أجزائه أشياء أخرى تتعلق بالفئة نفسها وبالفئتين الأخرتين . والتناقض الذى أريد أن ألفت إليه النظر هو ان قيمة مثل هذا الكل، لا تحتفظ بنسبة ثابتة موحدة بالنسبة لمجموع قيم اجزائه (أى أجزاء ذلك الكل) . فقد يرتبط شيء خيرما بمثل هذه العلاقة مع شيء خير آخر ، بحيث تكون قيمة

الكل المكون من الاثنين أكبر بكثير من مجموع قيمتى الشيئين الخيرين). (مبادىء الأخلاق ، نفس الموضوع السابق) .

ويستخدم مور عبارة «الكل العضوى» organic Whole للتعبيرعن مثل هذا الكل المكون من الأشياء الخيرة. وينتهى إلى القول بأننا حينما نتكلم عن اتصاف الأشياء بصفة الخيرية أو تحقق هذه الصفة فيها، علينا أن ندخل فى اعتبارنا أن الكل قد يتصف بتلك الصفة، بدرجة تختلف عن تلك الدرجة التى نتوصل إليها من مجموع درجات تحقق تلك الصفة فى أجزاء ذلك الكل . (فقرة رقم ٢٣ ، صفحة ٣٦).

ثانيا : الأخلاق الطبيعية :

ويهتم مور فى الباب الثانى من كتابه «مبادىء الأخلاق» بمناقشة الاجابات المختلفة عن السؤال الأساسى الذى قدمه لنا فى الباب الأول، وهو : ما هو الخير فى ذاته؟، فيلخص الأسس التى تقوم عليها هذه الاجابات المقترحة على النحو الآتى :

١ ـ ان هذه الاجابات يعتقد أصحابها بوجود نوع واحد من الأشياء يكون وحده خيرا فى ذاته .

٢ ـ وان هذه الاجـابات تنتـهى إلى ذلك لأن أصـحـابهـا يفترضـون وجود هذا الشيء الواحد ، لتحديد معنى الخير أو لتعريفه.

كـمـا يقـسـم مـور أهم النظريات التى تأتى تلك الاجابات تعبيرا عنها ، إلى مجموعتين :

١ ـ مجموعة ميتافيزيقية .

٢ ـ مـجـمـوعـة طبيـعـيـة . (أى مـجـمـوعـة يقـول أصـحابها بالمذهب الطبيعى).

وتنقسم المجموعة الأخيرة بدورها ـ عند مور ـ إلى مجموعتين فرعيتين من النظريات هما :

(أ) نظريات يعـتـقـد أصـحـابهـا بوجـود مـوجـود طبيعى، يكون وحده هو الخير، ولا يكون هو اللذة .

(ب) نظريات مذهب اللذة .

ويخـصـص مور بقية فقرات الباب الثانى لمناقشة النوع الأول من النظريات (والباب الثالث لمناقشة مذهب اللذة، والبـاب الرابع لمناقشـة المذهب الميـتـافـيـزيقى) ، مـحاولا تعريف وتحديد ما نعنيه بكلمة المذهب الطبيعى Naturalism بقـولـه : (ان هناك نظريات اخـلاقـيـة يذهب أصـحابها إلى أنه لا وجـود لقيـمـة باطنية الا فى حـالة

اتصاف شيء ما بصفة طبيعية لا تكون هي اللذة. وهي نظريات تصرح بذلك على فرض أن الخير يعني الاتصاف بصفة طبيعية . ومثل هذه النظريات أسميها بالنظريات (الطبيعية) . وهكذافانني أطلق اسم «المذهب الطبيعي» naturalism على طريقة للبحث في الأخلاق ، تقوم على استبدال صفة الخير بصفة يتصف بها شيء طبيعي ، أو مجموعة من الأشياء الطبيعية) . (فقرة رقم ٢٦، صفحة ٣٩)، أو بمعنى آخر (فانني أسمي تلك النظريات بالنظريات الطبيعية لأنها جميعا تتكلم عن صفات بسيطة أو مركبة ، تتصف بها أشياء أو موضوعات طبيعية بسيطة أو مركبة أيضا) . فقرة رقم ٢٦ ، صفحة٤٠.

الا أن مور لا يبدأ بمناقشة هذه النظريات، قبل أن يطمئن أولا إلى تحديد معاني الألفاظ التي سيستخدمها في هذه المناقشة ، مثل لفظتي «طبيعية» ، «موضوعات طبيعية» ، فيقول:

(ان ما أعنيه «بالضيق» nature هو كل ما يكون موضوع بحث العلوم الطبيعية كذا علم النفس . ويمكن القول بأن معنى الطبيعة بناء على ذلك ، يشمل كل ما هو موجود ، وكل ما وجد ، وكل ما سيوجد في الزمان .

ومن ثم فاننا نقول ان شيئا من الأشياء ، هو شيء طبيعي اذا كان موجودا أو هو موجود حاليا، أو هو مما يمكن أن يوجد مستقبلا في الزمان) (فقرة رقم ٢٦، صفحة ٤٠) . الا ان الصعوبة عند مور تنشأ حينما تتساءل عن الصفات التي تتصف بها الأشياء ، وهو في هذا الصدديقول: (أي هذه الصفات التي تتصف بها الأشياء الطبيعية ، هي صفات طبيعية وأيها صفات غير طبيعية ؟ أنني لا أنكر أن الخير صفة تتصف بها أشياء طبيعية معينة، ومع ذلك فانني أقول ان «الخير» ذاته ليس صفة طبيعية . اذ أن اتصاف صفة ما بكونها طبيعية، انما يتعلق بوجودها في الزمان . فهل يمكننا أن نتصدر الخير على أنه موجود بذاته في الزمان، وليس فقط مجرد صفة لشيء أو لموجود طبيعي ؟ بالنسبة لي ، لا أستطيع أن أتخيل ذلك) . (فقرة رقم ٢٦، صفحة٤١).

ويناقش مور ذلك المذهب الطبيعي بطريقته التحليلية ، فيحلل الصياغة اللغوية لذلك المذهب ويرى ان القول الشائع بأن الأشياء تكون خيرة لأنها طبيعية ، قد يتضمن :

(أ) أما القضية الكاذبة القائلة بأن ما هو سوى normal ، هو خير من حيث هو كذلك .

(ب) وأما القضية الكاذبة القائلة بأن ما هو ضرورى necessary ، هو خير من حيث هو كذلك .

ولتوضيح ذلك يقول مور : (هذه النظريات الأخلاقية اذن ، نظريات طبيعية، وهى تلك التى تصرح بأن الخير الوحيد إنما يقوم على وجود نوع من الصفة فى الأشياء (أى علىأتصاف الأشياء بصفة معينة) ، توجد فى الزمن. وهى نظريات يذهب أصحابها إلى ذلك الرأى لأنهم يفترضون ان الخير ذاته لا يمكن تعريفه بالاشارة إلى مثل هذه الصفة. (فقرة رقم ٢٧، صفحة ٤١). ثم يناقش مور الأساس الذى تقوم عليه هذه النظريات بقوله : (أولاً، هناك المبدأ الأخلاقى الشهير الذى يوحى بأن «يعيش الإنسان على وفاق مع الطبيعة وهو مبدأ أخلاقى رواقى . لكن بما ان ذلك المبدأ يغلب عليه الطابع الميتافيزيقى ، فاننى لن أتناوله الآن بالتفصيل . كما اننا نجد مثل هذه العبارة واردة عند جان جاك روسو. الا أن ذلك المبدأ لو كان صحيحا، أى اذاكان كل ما هو طبيعى، هو كذلك خير ، لترتيب على ذلك زوال الأخلاق بمعناها المألوف : لأننل نعرف أن هناك من الأشياء ما هو خير أو شرير أخلاقيا) . (فقرة رقم ٢٧، صفحة ٤٢).

ومعنى ذلك أن تكون جميع الأشياء الطبيعية أشياء خيرة ولا يكون هناك مجال لوجود أشياء شريرة أو غير خيرة .

ولذا يناقش مور معنى الخيرية فى الطبيعة ـ من حيث ارتباط معنى الخيرية بمعنى ما هو سوى فيقول : قد تعتبر الصحة الوفيرة على سبيل المثال خيرا، من حيث أن الصحة هى الحالة السوية للموجودات الطبيعية الحية، على الرغم من اعتبار المرض كذلك نتاجا طبيعيا . لكن السؤال الحقيقى فى هذا الصدد هو : هل كل ما هو سوى يكون خيرا بالضرورة ؟ وهل يتضح لنا حقيقة أن الصحة مثلا (من حيث هى الحالة السوية للكائن الحى) شيئا خيرا ؟ فى هذا الصدد يقول مور : (اننى أعتقد فى المقال الأول ، بأنه ليس كل ما هو خير هو سوى . بل على العكس ، فما هو شاذ عن المألوف قد يكون أفضل مما هو سوى. فمما لا شك فيه ان الامتياز والتفوق حالات غير سوية ، شأنها شأن الفساد والفجور. لكن يمكن القول مع ذلك بأن ما هو سوى هو خير). (نفس المرجع السابق، صفحة ٤٣) .

ويستمر مور فى تحليل معنى كلمة «طبيعى»، فيناقش معنى الخيرية فى الطبيعة من حيث ارتباط

معناها بما هو «ضروري»، على أساس ان هناك وجدانات ومشاعر وأفعال طبيعية ، قد زودت بها طبيعة الإنسان، بحيث تجعله قادرا على المحافظة على حياته أو استمراره فى الحياة والتكيف معها. وان مثل هذه الأفعال والوجدانات ضرورية للإنسان بهذا المعنى ، وهى فى الوقت نفسه خيره .

الا أن مور يرى أن وجود مثل هذا الحد الأدنى من الأفعال لا يبرر تقييمها أو لا يكون سببا للثناء عليها أو وصفها بأنها خيرة . وهو فى هذا الصدد يتساءل : لماذا يجب علينا أن نفترض ان ما هو ضرورى للحياة ـ هو أفضل فى ذاته مما هو ضرورى لدراسة الميتافيزيقا مثلا ؟ منتهيا من ذلك إلى ان (القول بأن شيئا ما يكون خيرا لأنه «طبيعى» ، أو شرا لأنه «غير طبيعى» ، بهذا المعنى السابق ، هو قول فاسد أو هو حجة غير صحيحة). (فقرة رقم ٢٩، صفحة ٤٥) .

كم يناقش مور نظرية التطور عند هربرت سبنسر وتشارلز دارون، من حيث هى مرتبطة بالمذهب الطبيعى، أو من حيث هى مثال للمذهب الطبيعى وقد أقيم على أساس من التطور. فيرى أن مذهب التطور يعتمد على ما أسماه دارون بالانتخاب الطبيعى Natural Selection

أو ما أسماه بالبقاء للأصلح، ولذا فقد أطلق داروين على العملية الطبيعية ـ التى يتحقق وفقها ذلك الانتخاب الطبيعى أو بقاء الأصلح ـ اسم عملية التطور. وتطبيق ذلك على مجال الأخلاق يتمثل فى القول «بالأخلاق التطورية» التى تقوم على تصور أن ما هو أحسن، إنما يعنى «ما هو أكثر تطوراً»، وهى النظرة التى توحى بها فلسفة الأخلاق عند سبنسر فى كتابه معطيات الأخلاق Data of Ethics ويرى مور أن ما يذهب إليه سبنسر بشأن الربط بين التطور وبين الأخلاق، أو بين اللذة وبين التطور قول غامض، الأمر الذى جعل مور يعبر مذهب سبنسر الطبيعى على أنه مذهب اللذة الطبيعية Naturalistic Hedonism (فقرة رقم ٣٢، صفحة ٥٠). ولذا فإن مناقشة مذهب اللذة بمعناه العام، وهو المذهب الثانى من المذاهب غير الميتافيزيقية التى يناقشها مور، وقد أفرد مور الباب الثالث من كتاب لمناقشة هذا المذهب، مذهب اللذة.

ثالثاً : الأخلاق عند فلاسفة مذهب اللذة:

يبدأ مور فى الباب الثالث من كتابه بتحليل هذا المذهب الأخلاقى بتعريفه، على أنه ذلك المبدأ الذى يرى أصحابه أن اللذة هى الشئ الوحيد الذى يكون خيراً

بذاته، أو «الخير الوحيد»، وهو المبدأ الذى طالما قال به اللذيون من قبل مثل أرستبوس مؤسس المدرسة القورينائية وأبيقور والمدرسة الأبيقورية، وفلاسفة مذهب المنفعة مثل جيرمى بنتام وجون ستيوارت ميل Mill وكذا هربرت سبنسر وهنرى سدجويك وغيرهم. وقد جعل مور مناقشته لهذا المبدأ تدور أساساً حول تحليله إياه بغرض إظهار المغالطة الطبيعية، التى يقوم عليها مستشهداً على ذلك بما ذهب إليه جون ستوارت ميل. كما أنه يناقش كذلك رأى سرجويك الذى - وإن لم يكن قد ارتكب المغالطة الطبيعية، على النحو الذى فعله ميل - إلا أنه ارتكب عدة أخطاء واردة فى حججه وبراهينه دفاعاً عن اللذة.

ويبدأ مور بمناقشة فلسفة ميل على أساس أن ميل يرى:

(أ) السعادة هى الشئ الوحيّد الذى يكوّن موضع رغبة desirable من حيث هى غاية.

(ب) وأن الأسئلة التى نسألها عن الغايات القصوى لا يمكن أ تخضع للبرهان المباشر. إلا أن برهان ميل على القضية الأولى جاء قائماً على أساس

من الخلط بين «ما هو موضع رغبة» وبين ما هو مرغوب فيهdesired ، كما أن برهانه على صحة القضية الثانية كان بمثابة المحاولة لإظهار أنه لا شئ مرغوب فيه إلا اللذة وحدها. ومن ثم يمكن تلخيص الخطوات الأولى فى فلسفة ميل الأخلاقية كما يلى:

١ ـ إن السعادة هى وحدها ما يكون «موضع رغبتنا» من حيث هى غاية أخيرة.

٢ ـ أن اللذة هى و حدها ما نرغب فيه.

أو هى كما يلخصها مور على نحو آخر بالقضيتين التاليتين : (لأن نفكر فى موضوع ما على أنه «موضع رغبتنا»، ما لم يكن ذلك من أجل النتائج المترتبة عليه، ولأن نفكر فيه على أنه شئ يحقق لذة ما، هو فى الواقع شئ واحد. ولأن نرغب فى أى شئ، بعيداً عن فكرتنا عنه من حيث هو شئ يحقق لذة ما، أمر مستحيل استحالة طبيعية واستحالة ميتافيزيقية أيضاً). (فقرة رقم ٤٤، صفحة ٧٢).

ومن الواضح أن ميل يخلط بين ما هو «موضع رغبة» وبين ما هو مرغوب فيه، فهو بعد أن ربط بين اللذة وبين ما هو مرغوب فيه، عاد فربط بين ما هو

موضع رغبة، وبين ما يحقق لذة. الأمر الذى جعل مور ينتهى إلى: (أن كلا القولين السابقين، يقوم على مغالطة: فالقول الأول يبدو أنه قائم على المغالطة الطبيعية، كما أن القول الثانى يعتمد على هذه المغالطة من ناحية، وعلى مغالطة خلط الغايات بالوسائل من ناحية أخرى. وعلى مغالطة الخلط بين الفكر السار Pleasant thought وبين التفكير فيما هو سار أو فى لذة ما Thought of a pleasure وهو ما تفصح عنه لغته هو). (فقرة رقم ٤٤، صفحة ٧٢).

ويوضح مور ذلك فيقول:

يتلخص رفضنا لحجج ميل وبراهينه على النحو الآتى:

أنه يستخدم الحد التالى: «ما هو موضع رغبة the desirable من حيث هو مرادف للحد : «ما هو خير» the good ، لكى يعنى به ما يمكن أن يكون مرغوبا فيه ، ويستخدم الحد التالى: «ما هو مرغوب فيه» the desired لكى يعنى به ماهو مرغوب فيه بالفعل ، ولذا فهو يقول أننا لو وجدنا شيئا يكون وحده دائما مرغوبا فيه، كان ذلك الشيء بالضرورة هو الشيء الوحيد الذى يكون موضع رغبتنا ، أى الشيء الوحيد الذى يكون خيرا من

حيث هو غاية . في مثل هذا البرهان نجد أن المغالطة الطبيعية واضحة . وهي ـ كما ذكرنا من قبل ـ تعتمد على القول بأن الخير إنما يعني فكرة ـ بسيطة أو مركبة ـ يمكن تعريفها أو تحديدها بواسطة عدة صفات طبيعية. والخير عند ميل يعني بكل بساطة ماهو مرغوب فيه (بالفعل) ، وان ماهو مرغوب فيه، هو ـ عنده ـ شيء يمكن تعريفه وتحديده بواسطة الفاظ طبيعية) ويخبرنا ميل بأننا ينبغي علينا أن نرغب فيه بالفعل إلا أنه لو كان قوله ـ بأن العبارة : «ينبغي على أن أرغب» لا تعني شيئا أكثر مما تعنيه العبارة «انني أرغب بالفعل» ـ قولا صحيحا ، كان معنى ذلك القول بأننا «نرغب فعلا في كذا وكذا، لأننا نرغب فيه فعلا» ، وهذه ليست بالقضية الأخلاقية على الاطلاق ، بل هي مجرد تحصيل حاصل.

والواقع أن الهدف الأساسي عند ميل ، هو محاولة مساعدتنا في الكشف عما ينبغي أن نفعله ، إلا أنه بمحاولته وتحديد وتعريف كلمة «ينبغي» ought ، قد خرج خروجا كاملا عن كل ما يؤدى إلى تحقيق ذلك الغرض ، اذ نجده قد انصرف إلى اخبارنا عما نفعله بالفعل .

وبذلك تكون أول حجة يذهب إليها ميل ، هي : أن الخير ـ لأنه يعنى ما هو مرغوب فيه ـ فإن ماهو مرغوب فيه يكون خيرا ، لكنه بهذا المعنى يكون قد توصل إلى نتيجة أخلاقية ، بانكاره امكان التوصل إلى أى نتيجة أخلاقية ، وهو بذلك يكون مازال فى حاجة إلى برهان آخر يجعل ـ على أساسه ـ من النتيجة التى توصل إليها قاعدة لمذهبة فى اللذة . اذ عليه أن يبرهن أننا نرغب دائما فى اللذة ، أو فى التحرر من الآلم ، وبأننا لا نرغب فى أى شىء آخر عدا ذلك . وهذا المدأ الثانى هو الذى يسميه سرجويك بمذهب اللذة النفسية Psycho-logical Hedonism . (فقرة رقم ٤٤، صفحة ٧٣).

ويناقش مور فكرة اللذة النفسية عند سرجويك بقوله أن سرجويك قد فشل فى التفرقة بين «اللذة» وبين «الشعور باللذة» ، وفى أن يتبين بطلان القول بأن «اللذة هى الخير الوحيد» . كما يناقش المذاهب المتعلقة بالقول باللذة فيقول : (ليس مذهبا الأنانية والمنفعة من حيث هما نموذجان أساسيان لمذهب اللذة ، (ليسا فقط بالمذهبين المختلفين أحدهما عن الآخر ، بل أنهما كذلك يتناقضان ، طالما أن الأول يثبت القول الآتى : «ان لذتى الكبرى هى الخير الوحيد» وأن الثانى يثبت القول التالى: «أن أكبر اللذات على الاطلاق هى الخير الوحيد».

ويبدو أن انتشار مذهب الأنانية إنما يعود ـ من جهة ـ إلى فشله فى ملاحظة ذلك التناقش ـ وتعتبر فلسفة سرجويك الأخلاقية خير مثال على ذلك ـ كما يعود من جهة أخرى إلى الخلط بين مذهب الأنانية من حيث هو مبدأ يتعلق بالغاية، وبينه من حيث هو مبدأ يتعلق بالوسيلة ، فإذا كان مذهب اللذة صحيحا ، فإن مذهب الأنانية لا يمكن أن يكون كذلك كما أنه لا يكون كذلك لو كان مذهب اللذة غير صحيح .

هذا من وجهة ، ومن جهة أخرى ، فإن غاية مذهب المنفعة ـ اذا كان مذهب اللذة صحيحا ـ لن تكون هى بالطبه أحسن ما يمكن بلوغه أو تحقيقه، وان كانت هى احسن ما يمكن أن نبدأ منه الا أنها غاية مرفوضة برفض مذهبة اللذة) (مبادىء الأخلاق : فقرة رقم ٦٥، صفحة ١٠٩).

رابعا : الاخلاق الميتافيزيقية

وبعد أن يناقش مور الأخلاق الطبيعية ، أو المذهب الطبيعى فى الأخلاق بفروعه المختلفة، يناقش فى الباب الرابع من الكتاب ، الأخلاق الميتافيزيقية أو المذاهب التى تقيم الأخلاق على أساس ميتافيزيقى . ويبدأ مور

بتحليل كلمة «ميتافيزيقيا» فيرى بأنها تعرف من حيث دلالتها أساس وبطريقة أولية على أى موضوع من موضوعات المعرفة، لا يكون جزءا من أجزاء الطبيعة أو العالم الطبيعى، أى لا يكون موجودا فى زمان معين مثل موضوعات الإدراك الحسى ، ولكن بما أن الميتافيزيقيين لا يقتنعون بمجرد القول بمثل هذه الماهيات ، بل يفترضون دائما أن ماليس له وجود فى الطبيعة، يجب أن يكون موجودا على نحو ما . لذا فإن كلمة «ميتافيزيقا» بالنسبة لهم تكون ذات دلالة أيضا من حيث اشارتها إلى حقيقة مفارقة Supersensible reality يفترضون وجودها على نحو ما .

ولذا فإن «الأخلاق الميتافيزيقية» Metaphysical Ethics ، تعنى تلك النسقات الفلسفية التى يذهب أصحابها إلى أن الأجابة عن السؤال التالى : «ما هو الخير؟» ، تعتمد منطقا على الاجابة عن السؤال الآتى : «ماهى طبيعة الحقيقة المفارقة؟» .

ويرى مور أن الميتافيزيقا ـ اذا كنا نفهمها على أنها البحث فى «حقيقة» مفارقة نفترض وجودها ـ لا يمكن أن تتعلق بالسؤال الأخلاقى الأساسى التالى : «ماهو الخير فى ذاته؟» . ويوضح هذا المعنى بقوله : (ان

الميتافيزيقا يمكن أن تكون ذات صلة بالأخلاق العملية Practical أى بالسؤال «عما ينبغى علينا أن نفعله؟» ، طالما أنها قادرة على اخبارنا عن النتائج المتوقعة لأفعالنا : الا أن مالا تستطيع اخبارنا به، هو ما اذا كانت هذه النتائج خيرة أو شريرة فى ذاتها) (فقرة رقم ٨٥، صفحة ١٣٩) ، لكن مور لا يناقش علاقة الميتافيزيقا بالأخلاق العملية ، بل يناقش علاقة بالسؤال الأساسى فى الأخلاق وهو «ما الخير فى ذاته؟» ويمثل مور لهذا الاتجاه الميتافزيقى ، بعدة أمثلة منها ذلك الغرض القائل بأن «الخير يجب أن يدل على نوع من الصفة الحقيقية فى الأشياء» . ومور يرفض مثل ذلك القول ، ويرى أنه افتراض قائم أساس على فرضين خاطئين : أولهما منطقى وثانيهما معرفى، أى يتعلق بنظرية المعرفة ، أما الخطأ المنطقى فيتمثل فى القول بأن جميع القضايا تثبت وجود علاقة ما بين عدة موجودات، أى يكون كل من الموضوع والمحمول فيها ذا دلالة خارجية ، أو أن يكون له ما يقابله فى العالم الحقيقى ، فى حين لا يرى مور أن مثل هذا القول قول صحيح بالنسبة للقضايا الأخلاقية اذ أن قضايا الأخلاق - فى نظره - لا يمكن اخضاعها لمثل هذا النمط من العبارات ومن ثم فكل تشبيه أو تمثيل للقضايا الخلقية بقوانين

الطبيعة ـ على الرغم من تشابههما فى الصورة ، هو تشبيه قائم على تلك المغالطة المنطقية .

فعلى الرغم من تشابه العبارتيت التاليتين مثلا :

١ ـ هذا أصفر .

٢ ـ هذا خير .

فى الصورة أو فى التركيب النحوى . الا أنهما مختلفتان فى التركيب المنطقى ، وهذا ما يتغاضى عنه الميتافيزيقيون الذين يسبق إلى ظنهم أن التساوى فى التركيب اللغوى لا يختلف عن ، أو هو يستتبع التساوى فى التركيب المنطقى كذلك .

والاختلاف بين العبارتين السابقتين يتضح من تحليل العبارة الثانية إلى قضية علاقية relational تفير وجود علاقة بين شيء معين ، وبين شخص يحكم على هذا الشيء فيصفه بأنه خير . فى حين أن القضية الأولى ، قضية حملية تصف موضوعا بصفة قائمة فيه).

كما يتمثل الخطأ المعرفى ـ عند مور ـ فى التوحيد بين «كون الشيء خيرا» وبين «كونه موضع إرادة» أو «كونه هو مانشعر به على نحو معين» (فقرة رقم ٧٧) . ويفند مور ذلك الخطأ بقوله أن ميتافيزيقا الإرادة لا تكاد

تكون لها علاقة بالأخلاق ، على أساس أنه ليس من الضرورى أن يكون كل مانريده دائما خير ، ولا أن يكون كل ماهو خير هو مانريده دائما خير ، ولا أن يكون كل ماهو خير هو مانريده فقط أو نرغب فيه . ويرى مور أن مثل هذا الربط بين «الخيرية» وبين الإرادة أو الوجدان ، كان شائعا فى فلسفة الأخلاق منذ عصر كانط (الذى رد الأخلاق ـ فى القسم الأول من كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ـ إلى ما أسماه بالإرادة الخيرة) ، فقد كان فلاسفة هذا الأتجاه يرون أن معرفة الخير تكون مصحوبة دائما بالإرادة والوجدان بصفة عامة .

الا أن مور يرى أن أيا من هذه الوقائع النفسية أو الوجدانية لا ينتج عنها بالضرورة أن يكون «ماهو خير» متماثل مع «مايكون موضع إرادة» وكل خلط بينهما يكون أشبه بالخلط بين موضوع الفكر وبين فعل التفكير، أو بين «الصدق» نفسه وبين ما يفترض أنه معيار الصدق. (فقرة رقم ٨٠)) ولذا فهو يفرق بين «ماهو خير» وبين «ماهو موضع إرادة» اذ لو كانا شيئا واحدا لما كان الأخر معيارا للأول . ومن ثم، فعلينا أن نوضح أن هناك أشياء خيرة فى ذاتها مستقلة عن

كونها موضع إرادة ، بدون أن نطلب عونا من ميتافيزيقا الإرادة (فـــقـــرة رقم ٨٣) ولذا يعــيب مــور على الميتافيزيقيين أقامة الأخلاق على أساس من الإرادة، فيقول ان الفلاسفة الميتافيزيقين ـ مثل توماس جرين Green ـ لم يحاولوا البحث فى الأخلاق بشكل مستقل عن الإرادة، وهذا يوضح ـ فى نظره ـ أنهم قد بدأوا من ذلك الافتراض الفاسد الذى يقول بأن الخيرية تكون هى نفسها ماهو موضع إرادة (فقرة رقم ٨٤) .

ويلخص مور وجهة نظره فى هذا الصدد بقوله : (اننى أود توضيح عدة نقاط أساسية هى :

أ ـ ان الإرادة والوجدان ليسا مماثلين للمعرفة

ب ـ اننا يجب أن نفرق بوجه عام بين موضوع المعرفة ، وبين المعرفة التى تتم بهذا الموضوع . ومن ثم فإن السؤال الذى يسأل عما اذا كان الموضوع حقيقيا ، يجب ألا يكون هو نفسه السؤال الذى يسأل عن كيفية معرفة الموضوع أو عما اذا كان قد تمت معرفته على الأطلاق. وينتج عن ذلك أنه حتى لو كانت القضية التالية: «هذا خير» هى دائما موضوع نوع من الإرادة أو الوجدان، فإن البرهنة على صدق هذه القضية لا تتم على أساس أنها موضوع تلك الإرادة أو الوجدان ، والا

كان من الممكن أن تصبح تلك القضية ذاتها متماثلة مع القضية التى يكون موضوعها هو موضوع الإرادة أو الوجدان) (فقرة رقم ٨٥، صفحة ١٤١).

خامسا : الأخلاق العملية :

هكذا ناقش دور الاجابات المختلفة عن سؤالين أساسيين فى الأخلاق هما:

١ ـ ماهى طبيعة القضية التى تقول : «هذا الشىء خير فى ذاته»؟

٢ ـ أى الأشياء تكون خيرة بذاتها ؟

وفى هذا الصدد يقول مور (فى الفقرة رقم ٨٧) انه قد أجاب عن السؤالين أجابة واحدة حين قرر أن اللذة ليست هى الشىء الوحيد الذى يكون خيرا بذاته .

ثم ينتقل مور الباب الخامس من هذا الكتاب إلى مناقشة الاجابات المختلفة عن السؤال التالى : «أى سلوك يكون هو الوسيلة التى توصلنا إلى نتائج خيرة؟» أو هو بصيغة أخرى : «ما الذى ينبغى علينا أن نفعلة؟»، وهو سؤال كما يقول مور يتعلق بالأخلاق العملية ، ويوضح ذلك بقوله: (ان الأخلاق العملية لا تسأل «ماذا ينبغى أن يكون؟» ، بل تسأل «ما الذى ينبغى علينا أن

نفعهله؟» ، انها تسأل : أى الأفعال تكون واجبات؟ وأيها يكون صوابا وأيها يكون خطأ؟. ولذا فإن البحث فى الأخلاق العملية يقع بأكمله فى نطاق القسم الثالث من أقسام الأسئلة الخلقية ، أى نطاق تلك الأسئلة التى تسأل «ما الخير من حيث هو مجرد سيلة ؟ » ، وهو سؤال يعادل السؤال التالى : «ما هى وسيلة الخير ؟» ـ أو ماهو السبب أو الشرط الضرورى تحققه فى الأشياء الخيرة حتى تكون خيرة بذاتها ؟) (فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨٠) .

والسؤال عما ينبغى علينا أن نفعله ، يثير ـ عند مور ـ السؤال عما يجب علينا أن نفعله ، وبالتالى عن معنى الواجب . ومن ثم يبادر مور (فى الفقرة رقم ٨٩) إلى تأكيد الحقيقة القائلة بأن القضايا المثبتة التالية : «هذا الفعل صواب» أو «هذا الفعل واجب على» ، تكافىء وتعادل القضية القائلة بأن جملة نتائج فعل ما ، سوف تكون هى أحسن النتائج الممكنة . فى ضوء هذه الحقيقة السابقة، ينتهى مور إلى عدة نتائج أهمها :

١ ـ ان المذهب الحدسى ـ الذى يرى أصحابه أن معنى الواجب يدرك بالحدس ، وبالتالى فإن القضايا التى تعبر عن معناه تكون واضحةبذاتها ـ مذهب

خـاطئ ، طالما أننا لانجـد أى قـضـيـة تتـعلق بـالواجب وتكون واضحة بذاتها (فقرة رقم ٩٠) .

٢ ـ انه لا أمل لدينا فى البرهنة على أن فعلا ما ، يجب أن تترتب عليه أحسن النتائج فى كل حالة تؤديه فيها ، ولذا فالكشف عن «الواجب» بهذا المعنى ، عند مور ، أمر مستحيل . (فقرة رقم ٩١) .

٣ ـ وعلى ذلك ينحصر دور الأخلاق ، لا فى تحديد الواجبات المطلقة ، بل فى أن تظهر ـ من بين عدد قليل من الأفعال البديلة ـ أيهما يمكن أن يكون أفضل من نتائجه، تحت ظروف معينة (فقرة رقم ٩٢) . وهو بهذا يخرج عما ذهب إليه الميتافيزيقيون ، وعما ذهب إليه كانط الذى اعتبر أن نظرتنا إلى الواجب ينبغى أن تكون مجردة عن كل باعث أو غاية، أى بغض النظر عن البواعث التى تؤدى إلى القيام بالفعل الذى يتفق مع الواجبات، وبغض النظر كذلك عن نتائجه .

٤ ـ ان المقارنة بين عمل وعمل آخر ـ على النحو سالف الذكر ـ هو أمر على درجة كبيرة من الصعوبة . ويرى مور أننا لا نرى برهانا مناسبا نبرهن به على أن جملة نتائج فعل واحد هى أفضل من نتائج غيره من الأفعال ، وذلك :

أ ـ لأننا لا نستطيع الا أن نحسب النتائج الفعلية، مقارنة بالنسبة للمستقبل القريب، لكن ذلك قد لا يكون ميسورا فى حالة احتساب نتائج الفعل، بالنسبة للمستقبل البعيد .

ب ـ بل وحتى فى حالة احتساب نتائج الفعل بالنسبة للمستقبل القريب ، نجد أن تقريرنا بأن جملة نتائج فعل معين، أفضل أو أحسن من جملة نتائج فعل آخر، هو أمر بالغ الصعوبة ، كما أن البرهنة على أن فعلا واحدا بعينه، يكون أفضل من فعل بديل آخر من حيث هو وسيلة ـ لتحقيق نتائج أفضل ـ فى جميع الحالات التى نقوم فيها به، هو برهان غير محتمل الصدق، ان لم يكن يبلغ درجة الاستحالة . (فقرة رقم ٩٤) . وفى هذا الصدد يقول مور : (لكى نثبت أن الفعل الذى قمنا به، هو من قبيل الواجب ، معناه أن نثبت أنه ذلك الفعل الممكن ، الذى تترتب عليه دائما ـ فى ظروف معينة معروفة ـ نتائج أفضل من نتائج أى فعل أخر بديل. وينتج عن ذلك أن تكون القضايا الكلية التى يكون الواجب محمولا فيها بقدر ما هى أبعد ماتكون عن الوضوح الذاتى ـ محتاجة إلى برهان دائما ، وهو أمر غير متوفر بين وسائل معرفتنا .

الا أن كل ما حاولته الأخلاق ، أو ما يمكن أن نقوم بمحاولته في هذا الصدد ، انما يوضح أن أفعالا معينة، ممكنة بالإرادة ، يترتب عليها بصفة عامة نتائج أحسن أو أسوأ من نتائج أى أفعال بديلة أخرى ممكنة..

فإذا صدق قولنا حين أطلقنا اسم «الواجب» على الأفعال التى يترتب عليها بصفة عامة - فى المستقبل القريب - نتائج أفضل من النتائج التى تترتب على أى أفعال أخرى ممكنة ، استطعنا أن نقيم البرهام على أن عددا قليلا من القواعد المعروفة عن الواجب هى قواعد صحيحة. لكن ذلك لا يصدق الا فى ضوء ظروف اجتماعية معينة . والواقع أن مثل هذا البرهان لا يكون برهانا ممكنا الا فى بعض الحالات ، وبدون أن يرتبط ذلك بالحكم الصحيح عن الأشياء التى تكون خيرة أو شريرة فى ذاتها).

(فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨١) .

ويقارن مور بين معنى الواجب ، وومعنى الفضيلة فيرى أن الفضائل لا يمكن أن توجد من حيث هى استعدادات خيرة في ذاتها ، وينتج عن ذلك الا تكون الفضيلة - عند مور - فى مجتمع ما هى هى نفسها فى

مجتمع آخر (فقرة رقم ١٠٣) بل تكون الفضائل فى نظره خيرة من حيث هى وسائل، ولا تكون خيرة بذاتها، لأن : (المقصود أساس «بالفضيلة» مجرد استعداد دائم لأداء «الواجبات» ـ بهذا المعنى المحدد، وبناء على ما تقدم ، فإن الفضيلة ـ إذا ما كانت فى حقيقتها فضيلة ـ فهى يجب أن تكون خيرة من حيث هى وسيلة ، بالمعنى الذى تستوفى فيه الشروط السابقة ، الا أنها لا تكون أفضل من غيرها من الاستعدادات غير الفاضلة non-virtuous ـ فهى بصفة عامة ليست لها قيمة فى ذاتها . وحتى حين تكون لها قيمة فى ذاتا ، فستصبح أبعد ما يكون عن كونها الخير الوحيد أو أفضل الخيرات . وبناء على ذلك «فالفضيلة» ليست ـ كما هو شائع ـ الصفة الخلقية الوحيدة (فقرة رقم ١٠٩ ، صفحة ١٨٢). ومعنى ذلك أن مور لا يجد سببا لأن نفترض أن ممارسة الفضيلة ـ من حيث هى أداء للواجبات ـ شىء خير ذاته دائما ، ان لم يكن هو الخير الوحيد (فقرة رقم ١٠٤) .

اذن على أى أساس نقارن بين الأفعال ، بحيث نقول أن هذا الفعل أفضل من غيره من الأفعال البديلة الأخرى ، من حيث نتائجه ، طالما أن البرهان على أن

فعلا واحدا بعينه أفضل من فعل بديل آخر هو برهان غير محتمل ، ان لم يكن متعذرا ؟ (فقرة رقم ٩٤) .

ان الأساس الذى يلجأ إليه مور ، أو معيار المقارنة والتفضيل عنده إنما يرجع إلى الفهم المشترك common-sense (اذ أن أغلب الأفعال التى يقبلها الفهم المشترك بوجه عام ، قد تكون بصفة عامة أفضل ـ من حيث هى وسائل ـ من أى فعل بديل آخر) (فقرة رقم ٩٥) .

سادسا : المثل الأعلى

وبعد أن يناقش مور كل هذه الاتجاهات والمذاهب الأخلاقية السابقة ، يختتم كتابه بالبحث فى المثل الأعلى الخلقى ، ومور شأنه شأن بقية فلاسفة التحليل ، والتزاما منه بالخط التحليلى فى فلسفته لا ينصرف إلى تتويج فلسفته باقامة مثل أعلى عام ، بقدر ما ينصرف إلى مناقشة الفكرة فى ذاتها ، ولذا نجده يبدأ الباب السادس بتحليل معنى «المثل الأعلى» ، فيقول أن المقصود «بالمثل الأعلى» ، أو بالحالة ـ المثالية ـ للأشياء من الناحية الأخلاقية ، يمكن أن يكون :

١ ـ أما هو «الخير الأقصى»، أى ، ماهو أحسن وأفضل ، على الاطلاق .

٢ ـ وأما هو «الأحسن والأفضل» في حدود ما تسمح بوجوده قوانين الطبيعة فى هذا العالم .

٣ ـ وأما هو «أى شىء خير فى ذاته» بدرجة كبيرة (فقرة رقم ١١٠) .

ويبدأ مور بتحليل المعنى الثالث . مع مناقشة الأسئلة الأساسية المتعلقة بالأخلاق فى هذا الصدد مفترضا أن تحليلنا للمعنى الثالث ، يعتبر خطوة أساسية تجاه نظرة صحيحة ننظر من خلالها إلى ما هو «مثالى» بالمعنى الموجود فى العبارتين رقم ١ ورقم ٢. فيرى أننا لكى نصل إلى أجابة صحيحة عن السؤال الذى يسأل «عما هو خير فى ذاته؟» أن ندخل فى اعتبارنا القيمة التى تكون الأشياء متحصلة عليها، حين تكون الأشياء موجودة بذاتها (فقرة رقم ١١٢) وهذا يتطلب البحث فى الصفات التى تتصف بها الأشياء، وكذا البحث فى معرفتنا بهذه الصفات ويسمى مور تلك الصفات التى تتصف بها الأشياء ، والتى بناء على معرفتنا بها نحكم على الأشياء ،بأنها خيرة أو غير ذلك، يسميها بالصفات الباطنية ويجعل منها أساس للقيم الباطنية، وبالتالى لقييمنا للأشياء .

ويقسم مور هذه القيم إلى أنواع ثلاثة هى :

١ ـ الخيرات الخالصة (أو غير المختلطة unmixed goods) .

٢ ـ الخيرات المختلطة .

٣ ـ الشرور .

(فقرة رقم ١٢٤)

فأما الخيرات الخالصة، (فيمكن القول بأنها تقوم أساسا على حب الأشياء الجميلة أو الأشخاص الأخيار: الا أن عدد الخيرات المختلطة التى تكون من هذا النوع الخالص، كثير ومتعدد، تبعا لكثرة عدد الموضوعات الجميلة، وتبعا لاختلاف العواطف والمشاعر التى ترتبط بتلك الموضوعات الجميلة ان هذه الخيرات بلاشك خيرة، حتى لو كانت الأشياء الجميلة أو الاشخاص الأخيار الذين نحبهم أشياء وأشخاص من صنع الخيال) (فقرة رقم ١٣٥، صفحة ٢٢٤)، وان كان من الأفضل ـ عند مور ـ لو كان لهذه الأشياء الجميلة. ولهؤلاء الأشخاص الأخيار وجود حقيقى.

وأما الشرور فتنقسم بدورها إلى ثلاث فئات رئيسية هى:

١ ـ شرور تتمثل فى الاعجاب بما هو شر أو قبيح، أو حب أو الاستمتاع به.

٢ ـ شرور تتمثل فى كراهية وازدراء كل ماهو خير أو جميل.

٣ ـ الشعور بالألم.

(فقرات رقم ٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧)

وأما فيما يتعلق بالخيرات المختلطة فهى عندمور: (تلك التى تتضمن عنصرا فيها يكون شرا أو قبيحا، ويمكن القول بأنها تقوم: اما على كراهية ماهو قبيح أو كراهية الشرور بأنواعها السابقة) (فقرة رقم ١٣٥، صفحة ٢٢٥)، بمعنى أن بعض الأشياء الخيرة عندمور، قد تكون فيها جوانب شريرة أو مؤلمة، ولذا فهى لاتكون شريرة تماما، كما أنها لاتكون خيرات خالصة، بل تكون خيرات مختلطة ويستدرك مور قائلا أنه لا يوجد سبب نظر من أجله أن وجود بعض الجوانب الشريرة فى شئ ما، يجعل منه شرا، بل سيكون خيرا ككل as a whokle وان لم يكن خيرا فى جملته on the whole (فقرة رقم ١٣٢).

وبهذا ينتهى مور إلى فكرتنا عن المثل الأعلى قد يدخل فى تكوينها فكرتنا عن الشرور (فقرة رقم ١٣٣)، وخاصة فيما يتعلق بالخيرات المختلطة.

وهكذا لا يكون المثل الأعلى الأخلاقى عند مور مفارقا تمام المفارقة، معبرا عن «حقيقة» خارجة عن مستوى الأشياء الخيرة، طالما انه يرى أن معرفتنا بصفات الأشياء، أو بقيمها الباطنية تعتبر احدى المكونات الأساسية التى تتكون منها فكرتنا عن المثل الأعلى.

●●●

كلمة ختامية:

يمكننا بعد العرض السابق لفلسفة مور الأخلاقية، كما هى متمثلة فى كتابه «مبادئ الأخلاق»، أن نلاحظ ما يأتى:

أولا: أن بعض تحليلات مور لم تكن على درجة كافية من الوضوح، على الرغم من أن الوضوح يعتبر سمة أساسية للتحليل، الذى جعل منه مور منهجا له يطبقه على مختلف مجالات البحث الفلسفى. ومن بين الأفكار التى لاتزال تحتاج إلى توضيح فى كتابه «مبادئ

الأخلاق، فكرته عن الصفات «الطبيعية» والصفات «غير الطبيعية» فهو يرى أن كلمة «خير»، اسم لصفة «بسيطة» و«غير طبيعية». ولذا فهو يقارنها بكلمة مثل «أصفر»، فيرى أن الكلمتين متشابهتان من حيث دلالة كل منهما على صفة بسيطة، الا أنهما يختلفان فى أن كلمة «أصفر»تشير إلى صفة «طبيعية» فى حين لا تفعل ذلك كلمة «خير».

الا أن مور لم يفطن (كما يقول برود C.D. Broad فى كتاب «فلسفة جورج مور»، طبعة شلبschilpp، صفحة ٥٧) ـ إلى سؤال أساسى فى هذا الصدد وهو: هل «الخير» اسم الصفة على الاطلاق؟ كما أنه افترض بساطة فكرة «الخير» ولم يضع تلك البساطة موضع التساؤل وانتهى من ذلك إلى أنها فكرة غير معرفة طالما أن مالا يقبل التعريف عنده هو البسيط لا المركب..

لكن ما معنى أن تكون الصفة البسيطة، طبيعية أو غير طبيعية؟ وما العلاقة بين كون صفة الخير صفة بسيطة وبين كونها غير طبيعية؟

يقول مورأن «الموضوع الطبيعى» هو أى «شئ يوجد فى زمن معين مثل هذه القطعة من الحجر أو ذلك

الشئ مثلا. وأن الموضوعات الطبيعية تتصف بصفات طبيعية، كما أن بعضها يتصف كذلك بصفات غير طبيعية. والصفة الطبيعية التى يتصف بها موضوع طبيعى، يمكن ادراكها - عند مور - على أنها موجودة بنفسها فى زمن معين.

أما الصفة غير الطبيعية لشئ طبيعى، فهى تلك التى لا يمكن ادراكها على أنها موجودة بنفسها فى زمن معين، بل يمكن ادراكها فقط من حيث هى مجرد صفة لموضوع طبيعى.

لكن ألا يحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت كل صفة من الصفات التى يتصف بها الموضوع الطبيعى يصدق عليها معيار مور فى كونها طبيعية؟ومن ثم فانه لا وجود ما يسميه مور بالصفة الطبيعية فى الوجود الطبيعى. فنحن حين نقول ان قرشا ما يتصف بصفة اللون الأصفر أو صفة الاستدارة، فاننا نفهم أن صفتى الاستدارة والتلون باللون الأصفر، من الصفات التى لا تقوم بذاتها، ولذا فهى من الصفات غير الطبيعية، فى حين أن مور يرى أنها صفات طبيعية. مما سبق يمكننا أن ننتهى مع برود (المرجع السابق، صفحة ٦١) إلى القول بأن ماكتبه مور بخصوص التفرقة بين الصفات الطبيعية وغير الطبيعية غير واضح تمام الوضوح.

ثانيـا: ان مـور نفسـه يرى أن بعض النتـائج التى توصل اليـها ليست بالنتائج التعيينية أو النهائيـة، وبأن بعض الأحكام التى انتـهى اليـهـا أحكام مـتـعسـفـة إلى حـدمـا،انما يشـفع له فـى هذا الصـدد انه لم يكن يهـدف إلى التـحليل، بل انـه لـم يكن يهـدف إلى النتـيـجـة بقـدر اهـتـمامـه بتطبيق المنهـج. ولقـد عـبـر مـور عن هـذا المعنى بقولـه: (ان كثيـرا من الأحكام التى انتـهيت اليهـا فى هذا البـاب (أى البـاب السـادس والأخيـر فى كتـابه «مـبادئ الأخلاق» ستبدو بلاشك أحكاما متعسفة إلى حد مـا: وعلى أن أعترف بأن بعض صفات القيم الباطنية، ليست متسقة فى نظام أو نسق واحد متكامل على النحو الذى يتطلبه الفلاسفة. الا أن ذلك لا يشكل اعتراضا أسـاسيا على ماقلته. اذ أن مدى ذلك الاتساق يتوقف على نظرتنا الفلسفية.

وعلى الرغم من ذلك فـاننى مقتنع بأن النتـائج التى توصلت اليـهـا، يحسن أن تؤخـذ على أنهـا أمـثلة تصـور المنهج الذى يجب اتباعه فى مـحاولة للاجابة عن الأسئلة الأسـاسـيـة فـى الأخـلاق. فـقـد حـاولت قـبل الاجـابة عن السؤال التـالى: «ماالذى ينبغى علينا أن نفعله؟»، حاولت أن أوضـح أولا مـعنى السـؤال، وكـذا الصـعـوبات التى

علينا أن نواجهها أثناء محاولتنا الاجابة، بدلا من البرهان على أن اجابة بعينها أو اجابة أخرى هى وحدها الاجابة الصحيحة. والواقع أن مثل هذا السؤال، وغيره، هو مما كان يهتم الفلاسفة الاخلاقيون دائما بالاجابة عنه، على الرغم من عدم تبينهم معنى السؤال نفسه، ان الدأب على ترديد السؤال الذى يسأل عن أى الأشياء هى التى تكون فضائلا أو واجبات، بدون أن نميز بين معانى هذه الألفاظ، والدأب على ترديد السؤال الذى يسأل عما ينبغى أن يكون هنا، والآن، بدون أن نميز بين ما اذا كان وسيلة أم غاية، أو ما اذا كان فى ذاته أم من أجل نتائجه، والبحث عن معيار واحد نفرق بناء عليه بين ماهو صواب وماهو خطأ، بدون أن نعرف أننا لكى نكشف عن معيا ر ما، علينا أولا أن نعرف أى الأشياء تكون صحيحة وإيهما تكون زائفة غير صحيحة. وهذه كلها تعتبر من الأسباب الرئيسية للوقوع فى الخطأ فى فلسفة الأخلاق).(الفقرة رقم ١٤٣، صفحة ٢٢٢ . ٢٢٣).

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥١٤٧

I.S.B.N 977-01-3914-9

مكتبة الأسرة



مطابع
الهيئة المصرية العـ



بسعر رمزى عشرة قروش
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤